اندركليس والاســـــد

كانَ أَنْدُرُ كْلِيسُ رَقِيقاً مِنْ رَقِيقِ الرُّومَانِ ، قَدْ رَحَلَ مَعَ سَيِّدِهِ إِلَى شَمَالِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَانَتْ حَيَاتُهُ كُلُّهَا بُؤْساً وَشَقَاءً مِنْ سُوءِ مُعَامَلَةِ سَيِّدِهِ لَهُ . وَأَخِيراً فَكَّرَ فِي الْهَرَبِ إِلَى رُومَا. وَلَكِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ مَصِيرَ الرَّقِيقِ الْهَارِبِ الْمَوْتُ لا مَحَالَةَ . فَانْتَظَرَ حَتَّى كَانَتْ لَيْلَةٌ حَالِكَةُ الظَّلامِ ، فَتَسَلَّلَ مِنْ قَصْرِ سَيِّدِهِ ، وَتَرَكَ الْمَدِينَةَ إِلَى الْفَلاةِ . وَسَارَ يَعْدُو بِسُرْعَةٍ نَحْوَ شَاطِئِ الْبَحْرِ . وَلَمَّا طَلَعَ النَّهَارُ ، وَجَدَ أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ نَحْوَ الشَّاطِئِ ، بَلْ ضَلَّ ، وَتَوَغَّلَ فِي الصَّحْرَاءِ ، وَقَدْ حَلَّ بِهِ التَّعَبُ وَالْجُوعُ وَالْعَطَشُ . وَوَجَدَ كَهْفاً بِجَانِبِ صَخْرَةٍ ، فَدَخَلَ فِيهِ لِيَسْتَرِيحَ ، وَمَا كَادَ يَضْطَجِعُ حَتَّى نَامَ نَوْماً عَمِيقاً مِنْ أَثَرِ التَّعَبِ وَالْجُوعِ . وَلَمْ يَمْضِ غَيْرُ قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ حَتَّى سَمِعَ صَوْتاً مُزْعِجاً يَهُزُّ جَوَانِبَ الْكَهْفِ ، فَقَامَ مِنْ نَوْمِهِ مَذْعُوراً ، فَرَأَى أَسَداً ضَخْماً فِي مَدْخَلِ الْكَهْفِ ، فَأَدْرَكَ أَنَّهُ كَانَ نَائِماً فِي مَغَارَةِ الأَسَدِ . وَانْتَظَرَ الأَجَلَ الْمَحْتُومَ ، وَأَخَذَ يَتَرَقَّبُ هُجُومَ الأَسَدِ وَافْتِرَاسَهُ لَهُ ، وَلَكِنَّ الأَسَدَ لَمْ يَتَحَرَّكْ مِنْ مَكَانِهِ بَلْ أَخَذَ يَئِنُّ ، وَيَلْحَسُ أَحَدَ مَخَالِبِهِ ، وَكَانَ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ ، فَأَدْرَكَ أَنْدُرُ كْلِيسُ أَنَّ الأَسَدَ فِي أَلَمٍ ، فَزَالَ عَنْهُ رُعْبُهُ وَخَوْفُهُ ، وَذَهَبَ نَحْوَهُ ، فَمَدَّ الأَسَدُ مِخْلَبَهُ إِلَيْهِ ، كَأَنَّمَا يَطْلُبُ مَعُونَتَهُ . فَنَظَرَ أَنْدُرُ كْلِيسُ إِلَى الْمِخْلَبِ ، فَوَجَدَهُ مُنْتَفِخاً ، وَالدَّمُ يَسِيلُ مِنْهُ ، وَبِهِ شَوْكَةٌ كَبِيرَةٌ . فَانْتَزَعَ الشَّوْكَةَ بِخِفَّةٍ وَسُرْعَةٍ ، وَضَغَطَ عَلَى الْوَرَمِ ، وَجَفَّفَ الدَّمَ .

فانتزع الشوكة من مخلب الأسد وضغط على الورم وجفف الدم

فَزَالَ عَنِ الأَسَدِ مَا بِهِ مِنْ أَلَمٍ . وَتَرَكَ أَنْدُرُ كْلِيسُ وَمَضَى. وَبَعْدَ مُدَّةٍ عَادَ يَحْمِلُ أَرْنَباً بَرِّيًّا وَضَعَهُ أَمَامَ أَنْدُرُ كْلِيسَ، فَفَهِمَ الرَّقِيقُ الْمِسْكِينُ أَنَّ هٰذَا الأَرْنَبَ لِغَذَائِهِ. فَقَامَ ، وَجَهَّزَهُ ، وَطَهَاهُ . ثُمَّ أَكَلَهُ . وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ خَرَجَ الأَسَدُ ، وَتَبِعَهُ أَنْدُرُ كْلِيسُ ، فَوَجَدَهُ يَذْهَبُ إِلَى عَيْنٍ جَارِيَةٍ مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ ، فَشَرِبَ مِنْهَا . وَعَاشَ أَنْدُرُ كْلِيسُ مَعَ الأَسَـــدِ بَعْدَ ذٰلِكَ ثَلاثَ سِنِينَ

كَامِلَةً، يَأْوِيَانِ إِلَى الْكَهْفِ مَعًا، وَيَخْرُجَانِ لِلصَّيْدِ مَعًا. وَلَكِنَّ أَنْدْرُكْلِيسَ أَخَذَ يَسْأَمُ مِنْ حَيَاةِ الْكَهْفِ. وَيَحِنُّ لِمُعَاشَرَةِ بَنِي الْإِنْسَانِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ، بَيْنَمَا كَانَ الْأَسَدُ فِي صَيْدِهِ، خَرَجَ أَنْدْرُكْلِيسُ يَبْغِي الِاقْتِرَابَ مِنَ الشَّاطِئِ عَلَّهُ يَجِدُ سَفِينَةً تَحْمِلُهُ إِلَى رُومَا. فَقَابَلَهُ حَرَسُ السَّوَاحِلِ، وَقَبَضُوا عَلَيْهِ، وَأَعَادُوهُ إِلَى رُومَا كَرَقِيقٍ هَارِبٍ. وَكَانَ الرُّومَانُ لَا يَرْحَمُونَ مَنْ يَهْرُبُ مِنَ الرِّقِّ. وَلِذَلِكَ حُكِمَ عَلَيْهِ بِالرَّمْيِ إِلَى الْوُحُوشِ الْكَاسِرَةِ فِي أَوَّلِ عِيدٍ مِنَ الْأَعْيَادِ الْعَامَّةِ.

وَفِي الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ أَهْرَعَ النَّاسُ إِلَى الْمَيْدَانِ الْكَبِيرِ الْمُسَمَّى «كُلِيسِيُومْ». وَجَلَسَ الْإِمْبِرَاطُورُ عَلَى مَقْعَدٍ عَالٍ يَحُفُّ بِهِ الْأَشْرَافُ وَالنُّبَلَاءُ. وَجَاءُوا بِأَنْدْرُكْلِيسَ، وَرَمَوْا بِهِ فِي الْمَيْدَانِ، وَأَعْطَوْهُ رُمْحًا يُدَافِعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ضِدَّ أَسَدٍ ضَخْمٍ، حَبَسُوهُ عِدَّةَ أَيَّامٍ مِنْ غَيْرِ طَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ، لِيَزِيدُوهُ وَحْشِيَّةً عَلَى وَحْشِيَّتِهِ. وَمَا كَادَ يَخْرُجُ الْأَسَدُ مِنْ قَفَصِهِ، وَيَرَاهُ أَنْدْرُكْلِيسُ يَزْأَرُ، هَاجِمًا نَحْوَهُ، حَتَّى ارْتَعَشَتْ يَدَاهُ، وَخَارَتْ قُوَاهُ، وَوَقَعَ الرُّمْحُ مِنْ يَدِهِ، وَأَسْلَمَ أَمْرَهُ لِلَّهِ. وَلَكِنْ مَا كَادَ الْأَسَدُ يَقْتَرِبُ مِنْهُ، وَيَرَاهُ حَتَّى هَدَأَتْ ثَوْرَتُهُ، وَأَخَذَ يَلْعَقُ يَدَهُ، وَيَهُزُّ ذَيْلَهُ فَرَحًا وَسُرُورًا بِلُقْيَاهُ، إِذْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْأَسَدُ إِلَّا صَدِيقَ أَنْدْرُكْلِيسَ فِي الصَّحْرَاءِ. وَعِنْدَهَا رَكَعَ أَنْدْرُكْلِيسُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى رَأْسِ صَدِيقِهِ، وَالدُّمُوعُ تَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَيْهِ مِنْ شِدَّةِ التَّأَثُّرِ.

أَمَّا الْمُشَاهِدُونَ فَقَدْ دَهِشُوا لِهَذَا الْمَنْظَرِ الْغَرِيبِ وَصَفَّقُوا، وَهَلَّلُوا إِعْجَابًا بِأَنْدْرُكْلِيسَ. وَأَمَّا الْإِمْبِرَاطُورُ فَقَدْ دَعَا أَنْدْرُكْلِيسَ، وَطَلَبَ مِنْهُ بَيَانًا لِهَذَا الْحَادِثِ الْغَرِيبِ. فَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ مَعَ الْأَسَدِ. فَأُعْجِبَ بِهَا أَشَدَّ الْعَجَبِ، وَعَفَا عَنْهُ، وَأَعْتَقَهُ، وَمَنَحَهُ مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الْعَيْشِ.

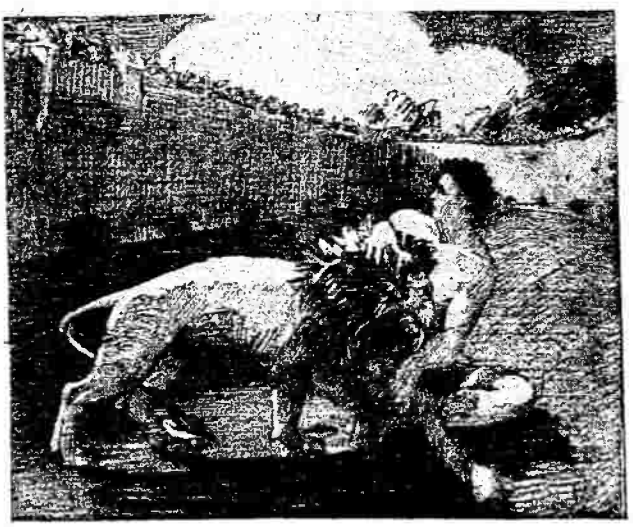

وهدأت ثورة الأسد واخذ يلعق يده ويهز ذيله فرحا

وَعَاشَ أَنْدْرُكْلِيسُ بَعْدَ ذَلِكَ حُرًّا مِنَ الْأَحْرَارِ. وَكَانَ كُلَّمَا خَرَجَ فِي شَوَارِعِ رُومَا تَبِعَهُ صَدِيقُهُ الْأَسَدُ كَمَا يَتْبَعُ الْكَلْبُ الْأَمِينُ سَيِّدَهُ.